

## سورة الملائكة

مكية، وهي خمس وأربعون آية  
[نزلت بعد الفرقان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتِلْكَ وَرُبْعٌ بَرِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ﴾ مبتدئها ومبتدعها. وعن مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى اختصم إليَّ أعرابيان في بشر فقال أحدهما: أنا فطرته (١٢٣٢)، أي ابتدأتها، وقرئ: الذي فطر السموات والأرض وجعل الملائكة. وقرئ: جاعل الملائكة، بالرفع على المدح ﴿رُسُلًا﴾ بضم السين وسكونها ﴿أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ﴾ أصحاب أجنحة، وأولو: اسم جمع لذو، كما أن أولاء اسم جمع لذا، ونظيرهما في المتمكنة: المخاض والخلفة ﴿مَّتَنَّىٰ وَتِلْكَ وَرُبْعٌ﴾ صفات الأجنحة، وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها. ذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد عن صبع إلى صبع آخر، كما عدل عمر عن عامر. وحذام عن حاذمة، وعن تكرير إلى غير تكرير. وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيما بين المعدولة والمعدول عنها. ألا تراك تقول: مررت بنسوة أربع، وبرجال ثلاثة، فلا يعرج عليها، والمعنى: أن الملائكة<sup>(١)</sup> خلقاً أجنحتهم اثنان اثنان، أي: لكل واحد منهم جناحان، وخلقاً أجنحتهم ثلاثة ثلاثة، وخلقاً أجنحتهم أربعة أربعة ﴿بَرِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ أي: يزيد في خلق الأجنحة، وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته. والأصل الجناحان؛ لأنهما بمنزلة اليدين، ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل، وذلك أقوى للطيران وأعون عليه. فإن قلت: قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه، فما صورة الثلاثة؟ قلت: لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة. أو لعله لغير الطيران؛ فقد مرَّ بي في بعض الكتب أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة

١٢٣٢ - قال الحافظ تقدم في سورة الأنعام. انتهى.

(١) قوله «أن الملائكة خلقاً» لعله: متنوع خلقاً... إلخ. (ع)

فجناحان يلفون بها أجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله. وعن رسول الله - ﷺ -: «أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح» (١٢٣٣)، وروي أنه سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له في صورته فقال: إنك لن تطيق ذلك. قال: «إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله - ﷺ - في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته فغشي على النبي ﷺ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه، فقال: سبحان الله! ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا، فقال جبريل: فكيف لو رأيت إسرافيل: له اثنا عشر جناحاً: جناح منها بالمشرق، وجناح بالمغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحيين لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع»<sup>(١)</sup> (١٢٣٤) وهو العصفور الصغير. وروي/ ٢/ ١١٥ عن رسول الله - ﷺ - في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾: «هو الوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن» (١٢٣٥). وقيل: «الخط الحسن»، وعن قتادة: الملاحه في العينين (١٢٣٦). والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق: من طول قامه، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء؛ وقوة في البطش؛ وحصافة في العقل<sup>(٢)</sup>، وجزالة في الرأي، وجرأة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة<sup>(٣)</sup> في اللسان ولباقة في التكلم<sup>(٤)</sup>؛ وحسن تأن في مزاوله الأمور؛ وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف.

١٢٣٣ - تقدم برقم (٥٧٧).

قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن مسعود: «أن النبي - ﷺ - رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح» ولفظ ابن حبان: رأيت جبريل عند سدره المنتهى وله ستمائة جناح ينتشر في ريشه الدر والياقوت». انتهى.

١٢٣٤ - عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٤٦/٣) لابن المبارك في كتاب الزهد من طريق ابن شهاب، وللثعلبي في تفسيره من جهة ابن المبارك.

قال الحافظ: أخرجه ابن المبارك في الزهد والثعلبي من طريقه أخبرنا الليث عن عقيل عن الزهري بهذا وزاد «الوضع عصفور صغير حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته» الوضع بفتح الصاد المهملة بعدها مهملة أيضاً. انتهى.

١٢٣٥ - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٥) لابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قال: حسن الصوت ولعبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق الزهري.

١٢٣٦ - عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٥) للبيهقي في السنن عن قتادة.

(١) قوله مثل الوضع وهو العصفور، في الصحاح: الوضع: طائر أصغر من العصفور. (ع)

(٢) قوله «وحصافة» أي: إحكام. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله «وذلاقة» أي: حدة وطلاقة، أفاده الصحاح. (ع)

(٤) قوله «ولباقة في التكلم» أي حذق، أفاده الصحاح. (ع)

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهَا مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾

### ﴿الْحَكِيمُ﴾

استعير الفتح للإطلاق والإرسال. ألا ترى إلى قوله: ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ مكان: لا فاتح له، يعني: أي شيء يطلق الله من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها. وتنكيره الرحمة للإشاعة والإيهام، كأنه قال: من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية<sup>(١)</sup>، فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها، وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه. فإن قلت: لم أنت الضمير أولاً، ثم ذكر آخر؟ وهو راجع في الحالين إلى الاسم المتضمن معنى الشرط؟ قلت: هما لغتان: الحمل على المعنى وعلى اللفظ، والمتكلم على الخيرة فيهما، فأنت على معنى الرحمة، وذكر على أن لفظ المرجوع إليه لا تأنيث فيه، ولأن الأول فسر بالرحمة، فحسن اتباع الضمير التفسير، ولم يفسر الثاني فترك على أصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها. فإن قلت: لا بد للثاني من تفسير، فما تفسيره؟ قلت: يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الأول. ولكنه ترك لدلالته عليه، وأن يكون مطلقاً في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته، وإنما فسر الأول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه. فإن قلت: فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه إلى ابن عباس - رضي الله عنهما -؟ قلت: إن أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها - وهو الذي أراده ابن عباس - رضي الله عنهما - إن قاله - فمقبول؛ وإن أراد أنه إن شاء أن يتوب العاصي تاب، وإن لم يشأ لم يتب؛ فمردود؛ لأن الله تعالى يشاء التوبة أبداً<sup>(٢)</sup>، ولا يجوز عليه أن لا يشاءها ﴿مَنْ بَعْدَهُ﴾ من بعد إمساكه، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ﴿بِأَيِّ حَدِيثٍ بَدَأَ اللَّهُ﴾ [الجاثية: ٦] أي من بعد هدايته وبعد آياته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الإرسال والإمساك ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه.

﴿بِأَيِّهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا

### إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾

- (١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: والعموم مفهوم من اسم الشرط و«من رحمة» بيان لذلك العام من أي صنف هو وهو مما اجتزىء فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمت ومن في موضع الحال. انتهى. الدر المصون.
- (٢) قوله «يشاء التوبة أبداً» هذا وما بعده على مذهب المعتزلة، من أنه تعالى يجب عليه الصلاح للعبد. وعند أهل السنة: لا يجب عليه شيء. فالكلام على ظاهره، ورده مردود. (ع)

ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط، ولكن به وبالقلب، وحفظها من الكفران والغمط<sup>(١)</sup> وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليتها. ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه: اذكر أياديّ عندك. يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها. والخطاب عام للجميع لأنّ جميعهم مغمورون في نعمة الله. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: يريد: يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم، حيث أسكنكم حرمة ومنعكم من جميع العالم، والناس يتخطفون من حولكم. وعنه: نعمة الله العافية. وقرئ: غير الله، بالحركات الثلاث؛ فالجزّ والرفع على الوصف لفظاً ومحلاً، والنصب على الاستثناء. فإن قلت: ما محل ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾؟ قلت: يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعت صفة لخالق<sup>(٢)</sup> وأن لا يكون له محل إذا رفعت محل من خالق، بإضمار يرزقكم، وأوقعت يرزقكم تفسيراً له، أو جعلته كلاماً مبتدأ بعد قوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾. فإن قلت: هل فيه دليل على أنّ الخالق لا يطلق على غير الله تعالى<sup>(٣)</sup>؟ قلت: نعم إن جعلت (يرزقكم) كلاماً مبتدأ وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة. وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير. فقد تقيّد فيهما بالرزق من السماء والأرض، وخرج من الإطلاق، فكيف يستشهد به على اختصاصه، بالإطلاق؛ والرزق من السماء المطر، ومن الأرض النبات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مفصولة لا محل لها، مثل: يرزقكم في الوجه الثالث، ولو وصلت كما وصلت

(١) قوله «وحفظها من الكفران والغمط» أي: الاحتقار. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: ما محل يرزقكم؟ قلت: يحتمل أن يكون له محل إذا أوقعت صفة لخالق، وأن لا يكون له محل إذا جعلته تفسيراً وجعلت من خالق مرفوع المحل بفعل يدل عليه هذا، كأنه قيل: هل يرزقكم خالق غير الله، أو جعلت يرزقكم كلاماً مبتدأ» قال أحمد: والوجه المؤخر أوجهها.

(٣) عاد كلامه. قال: فإن قلت: هل فيه دليل على أنّ الخالق لا يطلق على غير الله تعالى؟ قلت: نعم إن جعلت يرزقكم كلاماً مبتدأ، وهو الوجه الثالث من الأوجه الثلاثة. وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيّد فيهما بالرزق من السموات والأرض، وخرج من الإطلاق، فكيف يستشهد به على نفيه مطلقاً قال أحمد: القدرة إذا قرعت هذه الآية أسمعهم قالوا بجرأة على الله تعالى: نعم ثم خالق غير الله؛ لأن كل واحد عندهم يخلق فعل نفسه، فلماذا رأيت الزمخشري وسع الدائرة، وجلب الوجوه الشاردة النافرة، وجعل الوجهين يطابقان معتقده في إثبات خالق غير الله. ووجهها هو الحق والظاهر، وأخره في الذكر تناسياً له، والذي يحقق الوجه الثالث وأنه هو المراد أن الآية خوطب بها قوم على أنهم مشركون، إذا سئلوا عن رازقهم من السموات والأرض، قالوا: الله، فقررنا بذلك وقرعوا به، إقامة للحجة عليهم بإقرارهم، ولو كان على غير هذا الوجه قيد، لكان مفهومه إثبات خالق غير الله، لكنه لا يرزق وهؤلاء الكفرة قد تبرأوا عن ذلك، فلا وجه لتقريعهم بما يلائم قولهم هذا ترجيح الوجه الثالث من حيث مقصود سياق الآية. وأما من حيث النظم اللفظي، فلأنّ الجملتين اللتين هما قوله ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾ وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ سيقتا سياقاً واحداً. والثانية مفصولة اتفاقاً مما تقدم فكذلك ﴿وَرَزَيْنَاكُمْ﴾.

يرزقكم لم يساعد عليه المعنى؛ لأن قولك: هل من خالق آخر سوى الله لا إله إلا ذلك الخالق: غير مستقيم؛ لأن قولك: هل من خالق سوى الله إثبات لله، فلو ذهبت تقول ذلك: كنت مناقضاً بالنفي بعد الإثبات ﴿فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ﴾ فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك؟

﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله، وتكذيبهم بها، وسلى رسوله ﷺ بأن له في الأنبياء قبله أسوة حسنة، ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد: من رجوع الأمور إلى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه. وقرئ: ترجع، بضم التاء وفتحها. فإن قلت: ما وجه صحة جزاء الشرط، ومن حق الجزاء أن يتعقب الشرط وهذا سابق له؟ قلت: معناه: وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك، فوضع ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ موضع: فتأس، استغناء/ ٢/ ١١٥ ب بالسبب عن المسبب: أعني بالتكذيب عن التأسى. فإن قلت: ما معنى التنكير في رسل؟ قلت: معناه فقد كذبت رسل، أي رسل ذوو عدد كثير. وألو آيات ونذر، وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم، وما أشبه ذلك. وهذا أسلى له، وأحث على المصابرة.

﴿يَأْتِيَا النَّاسَ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَتُكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ إِنْ  
الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

وعد الله الجزاء بالشواب والعقاب ﴿فَلَا تَعْرَتُكُمْ﴾ فلا تخدعنكم ﴿الدُّنْيَا﴾ ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للأخرة وطلب ما عند الله ﴿وَلَا يَفْرَتُكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فإن الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة<sup>(١)</sup> والغرور الشيطان لأن ذلك ديدنه. وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك أو جمع غار كقاعد وقعود أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص علينا قصته وما فعل

(١) قال محمود: «معناه: ولا يقولن لكم الشيطان: اعملوا ما شئتم فإن الله غفور، يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة» قال أحمد: هو يعرض بأهل السنة في اعتقادهم جواز مغفرة الكبائر للموحد، وإن لم يكن توبة. وهذا لا يناقض صدق وعده تعالى؛ لأن الله تعالى حيث توعد على الكبائر قرن الوعد بالمشيئة في مثل قوله لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فهم إذا صدقون بوعد الله تعالى، موثقون به على حسب ما ورد.

بأبينا آدم عليه السلام، وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا، فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله ﴿فَاجِدُوهُ عَدُوًّا﴾ في عقائدكم وأفعالكم، ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم. ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته: هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك، وأن يكونوا من أصحاب السعير. ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء<sup>(١)</sup>، ليقطع الأطماع الفارغة والأمانى الكاذبة، فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا، قال لنبيه: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ يعني: أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين، كمن لم يزين له، فكأن رسول الله - ﷺ - قال: «لا» فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ ومعنى تزيين العمل والإضلال: واحد، وهو أن يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح، حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه، فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق أمر النهي، ويعتق طاعة الهوى، حتى يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً، كأنما غلب على عقله وسلب تمييزه؛ ويقعد تحت قول أبي نواس [من مجزوء الرمل]:

إِسْقِنِي حَسَنًا تَرَانِي حَسَنًا عِنْدِي الْقَبِيحُ<sup>(٢)</sup>

وإذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشأنهم، فإن على الرسول أن لا يهتم بأمرهم ولا يلقي بالأى إلى ذكرهم، ولا يحزن ولا يتحسر عليهم: اقتداء بسنة الله تعالى في خذلانهم وتخليتهم. وذكر الزجاج أن المعنى: أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة، فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليه: أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، فحذف لدلالة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ عليه. حسرات: مفعول له

(١) قوله «وقشر اللحاء» في الصحاح: اللحاء - ممدود - : قشر الشجر. (ع)

(٢) نحن نخفيها فتأني طيب ريح فتفوح

اسقني حتى تراني حسناً عندي القبيح

لأبي نواس. ونخفيها، أي: الخمر: فتفوح: أي رائحتها، ثم قال لساقى الخمر: اسقني حتى أسكر، فيحسن عندي القبيح، وحسناً: المفعول الثاني، والقبيح مرفوع به، واستحسانه: كناية عن اشتداد السكر.

يعني: فلا تهلك نفسك للحسرات. وعليهم صلة تذهب، كما تقول: هلك عليه حبا، ومات عليه حزناً. أو هو بيان للمتحسر عليه. ولا يجوز أن يتعلق بحسرات؛ لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته. ويجوز أن يكون حالاً، كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر؛ كما قال جرير [من الكامل]:

مَشَقَّ الْهَوَاجِرُ لِحَمَهُنَّ مَعَ الشَّرَى حَتَّى ذَهَبْنَ كَلَاكِلًا وَصُدُورًا<sup>(١)</sup>

يريد: رجعت كلاكلا وصدوراً، أي: لم يبق إلا كلاكلها وصدورها؛ ومنه قوله [من الخفيف]:

فَعَلَى إِنْهَارِهِمْ تَسَاقَطَ نَفْسِي حَسْرَاتٍ وَذَكَرَهُنَّ لِي سَقَامٌ<sup>(٢)</sup>

وقرى: فلا تذهب نفسك ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسَقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَتَّي فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ

### النُّشُورُ ﴿٩﴾

وقرى أرسل الريح. فإن قلت: لم جاء ﴿فُثِيرُ﴾ على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت: ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية، بحال تستغرب، أو تهتم المخاطب، أو غير ذلك، كما قال تأبط شراً [من الوافر]:

بِأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ الْغُولَ تَهْوِي بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَخَصَحَانٍ  
فَأَضْرِبُهَا بِبَلَا دَهَشٍ فَخَرَّتْ صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ<sup>(٣)</sup> ١١٦/٢ أ

(١) لجرير يصف نوقاً بالهزال. يقال: فرس ممشوق، أي: طويل مهزول. وجارية ممشوقة: رقيقة القوام. والهاجرة: شدة الحر. والسرى - بالضم -: سير الليل. والكلكل والكلكال: الصدر، وعطف الصدور على الكلاكل للتفسير، أي: صرن من شدة الحر والسير كأنهم عظام فقط لا لحم عليهن.

ينظر: ديوانه ص (٢٢٧)، خزانة الأدب (٩٩/٩٨/٤) شرح أبيات سيبويه (١/٢٢٠)، الكتاب (١/١٦٢)، المقاصد النحوية (٣/١٤٤)، بلا نسبة في لسان العرب (كلل)، البحر المحيط (٧/٣٠١)، الدر المصون (٥/٤٦٠).

(٢) لما أصابه الحزن بعد ذهاب الأحباب وتمكن من نفسه، تخيل أنها تتناثر وتنزل من جسمه حال كونها حسرات متتابعة، وجعل النفس حسرات لامتزاجها بها، فكانها هي، أو تتساقط بعدهم لأجل الحسرات والأحزان وهو أوجه. وذكرهم: أي تذكرهم سقام لي، وهو بالفتح مصدر كالسقم. ينظر: البحر المحيط (٧/٣٠١)، الدر المصون (٥/٤٦٠).

(٣) فمن ينكر وجود الغول إنني أخبر عن يقين بل عيان =

لأنه قصد أن يصوّر لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها، مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول، وثباته عند كل شدة. وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها: لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فسقنا، وأحيينا؛ معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدلّ عليه. والكاف في ﴿كَذَلِكَ﴾ في محلّ الرفع، أي: مثل إحياء الموات نشور الأموات وروي أنه قيل لرسول الله - ﷺ -: كيف يحيي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: «هل مررت بوادي أهلك محلاً ثم مررت به يهز<sup>(١)</sup> خضراً» قال: نعم. قال: «فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه» (١٢٣٧). وقيل

١٢٣٧ - أخرجه أحمد (٤/١١)، والحاكم (٤/٥٦٠)، كتاب الأهوال، باب: أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء؛ والطبراني في الكبير (١٩/٢٠٨)، رقم (٤٧٠)، وأبو داود الطيالسي (٢/٢٢٥)، كتاب: قيام الساعة والنفخ في الصور والبعث والنشور، باب: ما جاء في قيام الساعة وحشر الناس إلى الموقف حديث (٢٧٩٥)، والواحدي في تفسيره (٣/٥٠٢) جميعهم من طريق وكيع بن حوس عن عمه أبي رزين العقيلي، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/١٤٧) لإسحاق بن راهويه في مسنده، وللثعلبي في تفسيره، وللدارقطني، في المؤلف والمختلف. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال الحافظ: أخرجه أحمد وإسحاق وابن أبي شيبة، والحاكم، والبيهقي في البعث كلهم من طريق حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدي عن عمه أبي رزين العقيلي أنه قال: «يا رسول الله، أكلنا يرى ربه يوم القيامة. وما آية ذلك في خلقه؟ فقال النبي - ﷺ -: «ليس كلكم ينظر إلى القمر مختلياً به؟ قالوا: بلى. قال: فالله أعظم. قال: قلت: يا رسول الله، كيف =

= بأنني قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان  
فأضربها بلا دهش فخرت صريعاً للبيدين وللجران

لتأبط شرأ. والغول: أنثى الشياطين. والعيان: المشاهدة بالعين. والهوى: الهبوط. والمراد: سرعة العدو. والسهب - بالفتح -: الفضاء المستوي البعيد الأطراف. والصحيفة: الكتاب. والصحصحان والصعصعان - بالفتح -: المستوي من الأرض. والجران - ككتاب -: مقدم عظم العنق من الحلق إلى اللبة، وجمعه جرة ككتبة، وأجرة كأفئدة. يقول: فمن ينكر وجود الغول فقد كذب، فإني أخبر عن يقين، ويجوز أن المعنى: فإني من تنكر وجود الغول، إني أخبر إخباراً ناشئاً عن يقين، وهو ما كان بدليل قاطع بل عيان ومشاهدة بالعين، بأنني قد لقيتها تسرع في مكان متسع مستو، وكرر الوصف بذلك تأكيداً، وأظهر موضع الإضمار لزيادة تمكين الغول في ذهن السامع والتهويل، وكان الظاهر أن يقول: فضربتها، لكن عدل إلى المضارع ليحكي الحال الماضية كأنها موجودة الآن مشاهدة فيتعجب منها، وتعلم شجاعته، أي: فجعلت أضربها بلا خوف فسقطت مطروحة على يديها وعنتها. وفعل: يوصف به المذكر والمؤنث كما هنا.

ينظر: لسان العرب (جرن)، البحر المحيط (٧/٣٠٢)، الدر المصون (٥/٤٦٠).

(١) قوله «ثم مررت به يهز خضراً» في الخازن: «يهتز». (ع)

يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمضي الرجال، تنبت منه أجساد الخلق.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورَثُ﴾ (١١)

كان الكافرون يتعززون بالأصنام، كما قال عز وجل: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١] والذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطاة قلوبهم: كانوا يتعززون بالمشركين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكُفْرَانَ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِئِنَّهُمْ يَكْتُمُونَ عِدْمَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه. وقال: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] والمعنى فليطلبها عند الله، فوضع قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضعه، استغناء به عنه لدلالته عليه؛ لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكة. ونظيره قولك: من أراد النصيحة فهي عند الأبرار، تريد: فليطلبها عندهم؛ إلا أنك أقيمت ما يدل عليه مقامه. ومعنى ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أن العزة كلها مختصة بالله: عزة الدنيا وعزة الآخرة. ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ والكلم الطيب: لا إله إلا الله. عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني أن هذه الكلم لا يقبل. ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب الأعمال المقبولة، كما قال عز وجل: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّرَاتِي﴾ [المطففين: ١٨] إلا إذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها. وقيل: الرفع الكلم، والمرفوع العمل؛ لأنه لا يقبل عمل إلا من موحد. وقيل: الرفع هو الله تعالى، والمرفوع العمل. وقيل: الكلم الطيب: كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك. وعن النبي ﷺ: «هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه (١٢٣٨)». وفي الحديث: «لا يقبل الله قولاً إلا بعمل،

يحيي الله الموتى. وما آية ذلك في خلقه؟ قال: أما مررت بوادي أهلك ممحلاً؟ قال: بلى. قال: ثم مررت به يهتر خضراً؟ قال: قلت: بلى. قال: فكذلك يحيي الله الموتى. وذلك آية في خلقه» وأوله في سنن أبي داود وابن ماجه «ون مقصود الكتاب. انتهى.

١٢٣٨ - قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/١٤٨): لم أجد هكذا مرفوعاً عن النبي ﷺ - إلا عند الثعلبي ورواه الحاكم موقوفاً على ابن مسعود (٢/٤٢٥)، كتاب التفسير، باب: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه»، والطبري في تفسيره (١٠/٣٩٨ - ٣٩٩)، رقم (٢٨٩٣٧) كلهم من حديث المخارق بن سليم عن عبد الله بن مسعود.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من رواية علي بن عاصم عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ورواه الحاكم والبيهقي في الأسماء =

ولا يقبل قولاً ولا عملاً إلا بنية، ولا يقبل قولاً وعملاً ونية إلا بإصابة السنة (١٢٣٩)، وعن ابن المقفع: قول بلا عمل كثر يد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر. وقرئ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ على البناء للمفعول. و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ على تسمية الفاعل، من أصدع. والمصعد: هو الرجل أي يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب، وإليه يصعد الكلام الطيب. وقرئ: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، بنصب العمل والرافع الكلم أو الله عز وجل. فإن قلت: مكر: فعل غير متعد. لا يقال: مكر فلان عمله فيم نصب ﴿السَّيِّئَاتِ﴾؟ قلت: هذه صفة للمصدر، أو لما في حكمه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِيءُ الْمَكْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] أصله والذين مكروا المكرات السيئات. أو أصناف المكرات السيئات، وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداولوا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله - ﷺ -: إما إثباته، أو قتله، أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُواكَ أَوْ يُسْرِجُواكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ يعني: ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور، أي: يكسد ويفسد، دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قلب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعاً وحقق فيهم قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ولا يحق المكر السيء إلا بأهله.

= والطبري مرفوعاً عن ابن مسعود - رضي الله عنه - انتهى.

١٢٣٩ - روي من حديث أنس، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث ابن مسعود فأما حديث أنس: فرواه الخطيب البغدادي في كتاب الجامع لأدب الراوي والسامع (٣١٥/١)، باب: ذكر أخلاق الراوي حديث (٦٨٥).

وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٤٩/٣) لابن الجوزي في كتاب التحقيق في مسألة نية الوضوء.

وأما حديث أبي هريرة: فأخرجه ابن حبان في الضعفاء (٢٧٦/١).

قال ابن حبان: وزكريا بن يحيى الوقاد قال فيه ابن عدي: كان يضع الحديث، وخالد بن عبد الدائم قال ابن حبان: يروي المناكير ويلزق المتون الواهية بالأسانيد المشهورة. انتهى.

وأما حديث ابن مسعود: فأخرجه ابن حبان في الضعفاء (١٥٠/١)، وأعله بأحمد بن الحسين بن أبان المصري.

قال الحافظ: أخرجه الخطيب في الجامع من رواية بقية بن إسماعيل بن عبد الله عن أبان عن أنس بهذا مرفوعاً، وأبان متروك، وله طريق أخرى عن أبي هريرة مرفوعاً أخرجه ابن عدي وابن حبان، كلاهما في الضعفاء عن خالد بن عبد الدائم عن نافع بن يزيد عن زهرة بن معبد عن سعيد بن المسيب عنه. بلفظ: «قرآن في صلاة خير من قرآن في غير صلاة» - الحديث. وفيه: «ولا قول إلا بعمل إلى آخره». ورواه ابن حبان أيضاً من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن مسعود. وفيه أحمد بن الحسن المصري. وهو كذاب. انتهى.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١)

﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً، أو ذكراً وإناثاً، كقوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْسَاءً﴾ [الشورى: ٥٠] وعن قتادة - رضي الله عنه -: زوج بعضهم بعضاً ﴿بِعِلْمِهِ﴾ في موضع الحال، أي: إلا معلومة له. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ﴾؟ قلت: معناه (وما يعمر من أحد). وإنما سماه معمراً بما هو صائر إليه. فإن قلت: الإنسان إما معمر، أي طويل العمر: أو منقوص العمر، أي قصيره. فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال، فكيف صح قوله: ﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾؟ قلت: هذا من الكلام المتسامح فيه، ثقة في تأويله بأفهام السامعين، واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم/١١٦/٢ ب، وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد. وعليه كلام الناس المستفيض. يقولون: لا يشيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق. وما تنعمت بلداً ولا اجتويته إلا قل فيه ثواني<sup>(١)</sup>. وفيه تأويل آخر: هو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب، وصورته: أن يكتب في اللوح: إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر. وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون، فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون. وإليه أشار رسول الله - ﷺ - في قوله: «إن الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار» (١٢٤٠). وعن كعب أنه قال حين طعن عمر - رضي الله عنه -: لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله، فقيل لكعب: أليس قد قال الله ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩] قال: فقد قال الله: ﴿وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ﴾ (١٢٤١). وقد استفاض على الألسنة: أطال الله بقاءك، وفسح في مدتك وما

-----

١٢٤٠ - أخرجه أحمد (١٥٩/٦) من طريق القاسم عن عائشة، والبيهقي في الشعب (٢٦٦/٦)، الباب: السادس والخمسون وهو باب: في صلة الأرحام، رقم (٧٩٦٩)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٥١/٣) لأبي القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب، من طريق أبي سعيد الخدري.

قال الحافظ: أخرجه أحمد من طريق القاسم عن عائشة، لكن قال: «وحسن الخلق» بدل: «الصدقة» ورواه البيهقي في الشعب من هذا الوجه كذلك، وزاد: «وحسن الجوار» وله طريق أخرى عند الأصبهاني عن أبي سعيد بلفظ: «صلة الرحم وحسن الخلق وير الوالدين» وزاد: «وإن كان القوم فجاراً». انتهى.

١٢٤١ - عزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٥١/٣ - ١٥٢) لإسحاق بن راهويه في مسنده من =

(١) قوله «ولا اجتويته إلا قل فيه ثواني» أي: كرهت السقام به، كذا في الصحاح. (ع)

أشبهه. وعن سعيد بن جبير - رضي الله عنه -: يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب في أسفل ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، حتى يأتي على آخره (١٢٤٢). وعن قتادة - رضي الله عنه -: المعمر من بلغ ستين سنة، والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة (١٢٤٣). والكتاب: اللوح. عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: ويجوز أن يراد بكتاب الله: علم الله، أو صحيفة الإنسان. وقرئ: ولا ينقص، على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ يُنْبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢)

ضرب البحرين: العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر، ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعظائه ﴿وَمِن كُلِّ﴾ أي: ومن كل واحد منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾ وهي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ﴾ في كل ﴿مَوَاحِرَ﴾ شواق للماء يجريها، يقال: مخرت السفينة الماء. ويقال للسحاب: بنات مخر، لأنها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر، لأنها تسفن الماء كأنها تقشره كما تمخره ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ من فضل الله، ولم يجز له ذكر في الآية، ولكن فيما قبلها، ولو لم يجز لم يشكل، لدلالة المعنى عليه. وحرف الرجاء مستعار لمعنى الإرادة، ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل، كأنما قيل: لتبتغوا، ولتشكروا. والفرات: الذي يكسر العطش. والسائغ: المريء السهل الانحدار لعدوبته. وقرئ: سيغ، بورن سيد: وسيغ بالتخفيف. وملح: على فعل. والأجاج: الذي يحرق بملوحته. ويحتمل غير طريقة الاستطراد: وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين، ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر؛ بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ: وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع، فهو في طريقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبَكُمْ مِنْ

= طريق الزهري عن سعيد بن المسيب.

قال الحافظ: أخرجه إسحاق في آخر مسند ابن عباس - رضي الله عنهما -. أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد. انتهى.

١٢٤٢ - أخرجه أبي الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة (٩١٨/٣ - ٩١٩) رقم (٤٥٢) - ٢٣. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٤/٥) لعبد بن حميد ولاين المنذر ولاين أبي حاتم في تفسيرهم.

١٢٤٣ - ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤٦٤/٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

بَعْدَ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴿ ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ السَّاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهَيِّطُ مِنْ حَشِيِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤].

﴿ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ ذَلِكَ كُمْ ﴾ مبتدأ. و﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ أخبار مترادفة. أو (الله ربكم) خبران. وله الملك: جملة مبتدأة واقعة في قران قوله: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ فِطْمِيرٍ ﴾ ويجوز في حكم الإعراب إيقاع اسم الله صفة لاسم الإشارة. أو عطف بيان. وربكم خبراً. لولا أن المعنى ياباه<sup>(١)</sup>. والقطمير: لفاقة النواة، وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها.

﴿ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾

إن تدعوا الأوثان ﴿ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴾ لأنهم جماد ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا ﴾ على سبيل الفرض والتمثيل لـ ﴿ مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الإلهية، ويتبرؤون منها. وقيل: ما نفعوكم ﴿ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿ ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل خبير عالم به. ويريد: أن الخبير بالأمر وحده، هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به. والمعنى: أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق، لأنني خبير بما أخبرت به. وقرئ: يدعون، بالياء والتاء<sup>(٣)</sup>.

﴿ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴾

فإن قلت: لم عرف الفقراء؟ قلت: قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم إليه هم

(١) قال السمين الحلبي: ورده الشيخ: بأن الله علم لا جنس فلا يوصف به ورد قوله: بأن المعنى ياباه قال: لأنه يكون قد أخبر عن المشار إليه، بتلك الصفات والأفعال إنه مالكم ومصالحكم. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله ﴿ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ كأن تفسيره قد سقط، وفي النسفي: يكفرون بشرككم: بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم، ويقولون: ما كنتم إيانا تعبدون، ولا ينبتك... إلخ. (ع)

(٣) أي في الآية (١٣) ﴿... وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ...﴾.

جنس الفقراء، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم، لأن الفقر مما يتبع الضعف، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] وقال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤] ولو نكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء. فإن قلت: قد قوبل الفقراء بالغنى، فما فائدة الحميد؟ قلت: لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم - وليس كل غني نافعاً بغناه إلا إذا كان الغني/٢/ ١١٧ جواداً منعماً، فإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد - ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني النافع بغناه خلقه، الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمده. الحميد على السنة مؤمنهم ﴿بِعَزِيْزٍ﴾ بممتنع، وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أنداداً، وكفرهم بآياته ومعاصيهم، كما قال: ﴿تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ﴾ [محمد: ٣٨] وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: يخلق بعدكم من يعبد لا يشرك به شيئاً.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يَحْمِلُ بِئِنَّهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨)

الوزر والوقر: أخوان؛ ووزر الشيء إذا حملة. والوازية: صفة للنفس، والمعنى: أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزرها الذي اقترفته: لا تؤخذ نفس بذنب نفس، كما تأخذ جبابرة الدنيا: الولي بالولي، والجار بالجار. فإن قلت: هلا قيل: ولا تزر نفس وزر أخرى؟ ولم قيل وايزة؟ قلت: لأن المعنى أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها، لا وزر غيرها. فإن قلت: كيف توفق بين هذا وبين قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَنْفَالِهِمْ﴾ [المنكبات: ١٣]؟ قلت: تلك الآية في الضالين المضلين، وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، وذلك كله أوزارهم ما فيها شيء من وزر غيرهم. ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم: ﴿أَتَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [المنكبات: ١٢] بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنكبات: ١٢]. فإن قلت: ما الفرق بين معنى قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وبين معنى ﴿وَأَن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يَحْمِلُ بِئِنَّهُ شَيْءٌ﴾؟ قلت: الأول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه، وأنه تعالى لا يواخذ نفساً بغير ذنبها، والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث، حتى أن نفساً قد أثقلها الأوزار وبهظتها، لو دعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث، وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ. فإن قلت: إلام أسند كان في ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾؟ قلت: إلى المدعو المفهوم من قوله: ﴿وَأَن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾. فإن قلت: فلم

ترك ذكر المدعو؟ قلت: ليعم، ويشمل كل مدعو. فإن قلت: كيف استقام إضمار العام؟ ولا يصح أن يكون العام ذا قرى للمثقلة؟ قلت: هو من العموم الكائن على طريق البدل. فإن قلت: ما تقول فيمن قرأ (ولو كان ذو قرى) على كان التامة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]؟ قلت: نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة؛ لأن المعنى على أن المثقلة إن دعت أحداً إلى حملها لا يحمل منه شيء، وإن كان مدعوها ذا قرى، وهو معنى صحيح ملتئم، ولو قلت: ولو وجد ذو قرى، لتفكك وخرج من اتساقه والتنامه<sup>(١)</sup>، على أن ههنا ما ساغ أن يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما أوردته ﴿يَالْغَيْبِ﴾ حال من الفاعل أو المفعول، أي: يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم. وقيل: بالغيب في السر، وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله - ﷺ - من أصحابه، فكانت عاداتهم المستمرة أن يخشوا الله، وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً، يعني: إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك، وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمردتهم وأهل عنادهم ﴿وَمَنْ تَرَكَنَّ﴾ ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصي. وقرئ: ومن ازكى فإنما يزكي، وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة، لأنهما من جملة التزكي ﴿وَإِلَّاهُ الْمَصِيرُ﴾ وعد للمتزيين بالثواب. فإن قلت: كيف اتصل قوله ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ﴾ بما قبله؟ قلت: لما غضب عليهم في قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يَذْهَبْكُمْ﴾ أتبعه الإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها، ثم قال: (إنما ننذر) كأن رسول الله - ﷺ - أسمعهم ذلك، فلم ينفع، فنزل ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ﴾ أو أخبره الله تعالى بعلمه فيهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ (١٦) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ (٢١)  
وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنَّ  
أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿ (٢٣)﴾

﴿الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ مثل للكافر والمؤمن، كما ضرب البحرین مثلاً لهما أو للصنم والله عز وجل، والظلمات والنور والظل والحور: مثلاً للحق والباطل، وما يؤديان إليه من الثواب والعقاب. والأحياء والأموات: مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه، وأصروا على الكفر والحور: السموم؛ إلا أن السموم يكون بالنهار. والحور بالليل والنهار. وقيل: بالليل خاصة. فإن قلت: لا المقرونة بواو العطف ما هي؟ قلت: إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي. فإن قلت: هل من فرق بين هذه الواوات؟ قلت: بعضها ضمت شفعاً إلى شفع، وبعضها تقرأ إلى وتر ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن

(١) قوله «وخرج من اتساقه والتنامه» أي: انتظامه. (ع)

يَشَاءُ ﴿٢٢﴾ [فاطر: ٢٢] يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه، فيهدي الذي قد علم أن الهداية/٢/١١٧ تب تفع فيه، ويخذل من علم أنها لا تفع فيه. وأما أنت فخفي عليك أمرهم. فلذلك تحرص وتتهالك على إسلام قوم من المخدولين. ومثلك في ذلك مثل من لا يريد أن يسمع المقبورين وينذر، وذلك ما لا سبيل إليه، ثم قال: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ أي ما عليك إلا أن تبلغ وتنذر، فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع، وإن كان من المصرين فلا عليك. ويحتمل أن الله يسمع من يشاء وأنه قادر على أن يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر والإلجاء، وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق، وأما أنت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿بِالْحَقِّ﴾ حال من أحد الضميرين، يعني: محققاً أو محققين، أو صفة للمصدر، أي: إرسالاً مصحوباً بالحق. أو صلة لبشير ونذير على: بشيراً بالوعد الحق، ونذيراً بالوعيد الحق. والأمة الجماعة الكثيرة. قال الله تعالى: وجد عليه أمة من الناس، ويقال لأهل كل عصر: أمة، وفي حدود المتكلمين: الأمة هم المصدقون بالرسول - ﷺ - دون المبعوث إليهم، وهم الذين يعتبر إجماعهم، والمراد ههنا: أهل العصر. فإن قلت: كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم يخل فيها نذير؟ قلت: إذا كانت آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس، وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمداً ﷺ. فإن قلت: كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما؟ قلت: لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة، دلّ ذكرها على ذكرها، لا سيما قد اشتملت الآية على ذكرهما.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ وبالصحف ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ نحو التوراة والإنجيل والزيور. لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسناداً مطلقاً. وإن كان بعضها في جميعهم: وهي البيئات، وبعضها في بعضهم: وهي الزبور والكتاب. وفيه مسلاة لرسول الله - ﷺ -.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيُّ سُودٌ﴾ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ

كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١٨﴾

﴿أَلْوَانَهَا﴾ أجناسها من الزمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من

الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها. والجدد: الخطط والطرائق، قال لبيد [من الكامل]:

أَوْ مَذْهَبٌ جُدَّدَ عَلَيَّ أَلْوَانِهِ ..... (١)

ويقال: جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره، وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان

تفصلان بين لوني ظهره وبطنه ﴿وَعَرَابِيْبٌ﴾ معطوف على بيض أو على جدد، كأنه قيل:

ومن الجبال مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد غرابيب<sup>(٢)</sup>. وعن عكرمة

- رضي الله عنه -: هي الجبال الطوال السود. فإن قلت: الغريب تأكيد للأسود. يقال:

أسود غريب، وأسود حلكوك: وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه. ومنه الغراب.

ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك: أصفر فاقع، وأبيض يقق<sup>(٣)</sup> وما أشبه ذلك.

قلت: وجهه أن يضم المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيراً لما أضمراً؛ كقول النابغة [من

البيط]:

وَالْمُؤْمِنُ الْعَائِدَاتِ الطَّيْرِ ..... (٤)

(١) ينظر: ديوانه ص ١١٩، و الخصائص ١٩٣/١، والكتاب ١٥١/٤، ولسان العرب (ذهب)، (برز)، (نطق). (فعم)، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ص ٢٣٢.

(٢) قوله «ما هو على لون واحد غرابيب» لعله. غريب. (ع)

(٣) قوله «وأبيض يقق» بفتح القاف الأولى، وحكى كسرهما. أفاده الصحاح. (ع)

(٤) فلا لعمر الذي طيفت بكعبته وما هريق على الأنصاب من جسد

والمؤمن العائدات الطير يرقبها ركبان مكة بين الثقيل والسند

ما إن أتيت بشيء أنت تكرهه إذا فلا رفعت سوطي إلى يدي

للنابغة. يعتذر للنعمان بن المنذر، ولا زائدة قبل القسم، لأنه في الغالب لنفي دعوى الخصم.

والعمر: الحياة، وهو مبتدأ حذف خبره وجوبا، وطاف به يطيف طيفاً. أتى عليه ونزل به، وطاف

به يطوف طوافاً وطوفاناً، إذا دار حوله، ومنه: طيفت، وهو مبني للمجهول، ونائب الفاعل: الجار

والمجرور، ولما كان مؤنثاً لحقت التاء الفعل شذوذاً، والفصيح تركها في مثله، والغيل والسند:

أجمتان بجانب منى. وقيل: موضعا ماء بجانب الحرم، وهو قريب مما قبله، أي: حياة الذي طاف

الحجيج بكعبته قسمي، وماهريق، والمؤمن: بالرفع عطف على المبتدأ والعائدات منصوب

بالمؤمن، والطير: عطف بيان للعائدات، ويجوز جعله بدلاً منه، وكذا كل موصوف تبع صفته،

وهريق: أصله أريق. والجسد: البدن، وجسد به الدم؛ إذا لصق به، فهو جاسد وجسد. فعلى

الأول «أريق» بمعنى ذبح، وعلى الثاني على ظاهره، لكنه كناية عن الذبح، أي وما ذبح على

الحجارة المنصوبة حول الكعبة من الهدى، والذي آمن الطير العائدات اللانذات بالحرم، حال كونها

ينظرها الحجاج في منى ولا يؤذونها لإحرامهم. وروي: يمسحها وهو أبلغ في الأمن، وما أتيت

جواب القسم، وإن زائدة. ويجوز أنها نافية مؤكدة ثم دعا على نفسه فقال: إذا كان ذلك مني فلا =

وإنما يفعل ذلك لزيادة التوكيد، حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الإظهار والإضمار<sup>(١)</sup> جميعاً، ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ بمعنى: ومن الجبال ذو جدد بيض وحممر وسود، حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال: ثمرات مختلفاً ألوانها ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ﴾ يعني: ومنهم بعض مختلف ألوانه. وقرئ: ألوانها. وقرأ الزهري جدد، بالضم: جمع جديدة، وهي الجدة، يقال: جديدة وجدد وجدائد، كسفينة وسفن وسفائن. وقد فسر بها قول أبي ذؤيب يصف حمار وحش [من الكامل]:

..... جُونُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ<sup>(٢)</sup>

وروي عنه: جدد، بفتحيتين، وهو الطريق الواضح المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض. وقرئ: والدواب مخففاً ونظير هذا

رفعت سوطي إلى يدي: بيان يدي، كناية عن أنه يضعف غاية الضعف، وروي «سوطاً» بدل «سوطي» أي يضعف حتى لا يقدر على رفعه.

ينظر ديوانه (ص ٢٥) وفيه «والسعد» مكان «والسند»، خزنة الأدب (٥/٧١، ٧٣، ١٨٣، ٨/٤٥٠، ٤٥١)، شرح المفصل (٣/١١) الدر المصون (٥/٤٦٧).

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: لا يصح إلا على مذهب من يُجوزُ حذف المؤكد ومن النحويين من منعه وهو اختيار ابن مالك. قلت: ليس هذا هو التوكيد المختلف في حذف مؤكده لأن هذا من باب الموصوف، ومعنى تسمية الزمخشري لها تأكيداً من حيث أنها لا تُقيدُ معنى زائداً إنما المبالغة والتوكيد في ذلك اللون والنحويون قد سموا الوصف إذا لم يُقَدَّ غير الأول وتأكيداً فقالوا: وقد تجيء لمجرد التوكيد نحو ﴿نَهْمَةٌ وَجِدَةٌ﴾ و﴿إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ والتوكيد المختلف في حذف مؤكده إنما هو في باب التوكيد الصناعي ومذهب سيويه جوازه، أجاز مَرَزْتُ بِأَخْوَيْكَ أَنْفُسَهُمَا بالنصب والرفع على تقدير أعنيهما أنفسهما أو هما أنفسهما فأين هذا من ذلك؟ إلا أنه يشكّل على الزمخشري هذا المذكور بعد «غزائب» ونحوه بالنسبة إلى أنه جعله مفسراً لذلك المحذوف وهذا إنما عهد في الجمل لا في المفردات إلا في باب البدل وعطف البيان قبأي شيء يُسميه. والأولى فيه أن يُسمى توكيداً لفظياً إذ الأصل سودٌ غزائبٌ سودٌ.

(٢) والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

لأبي ذؤيب في مرثية بنه. والجون: الأسود ويطلق على الأبيض، فهو من الأضداد. وسراة الظهر: أعلاه. وسراة كل شيء: أعلاه. وجديدة وجدد وجدائد، كسفينة وسفن وسفائن. والجدائد: الأذن التي جف لبنها. والمرأة الجداء: التي لا تدي لها: يسلي عن بنه بأن لك عادة الدهر، فهو لا يبقى مع ما فيه من الحدثان أحداً، حتى أسود الظهر كناية عن حمار الوحش له أن أربع يرعى معهن في البراري وينزو عليهن. وقيل: إنه يعيش مائتي سنة فربما يتوهم أنه لا يصيبه الدهر بشيء. ويجوز قراءة «يبقى» بالفتح. وجون بالرفع فاعل، وله جدائد: جملة حالية أي: لا بد أن تهلك أنته واحدة بعد واحدة، أو يهلك هو.

ينظر: ديوان الهذليين (٤/١)، الدر المصون (٥/٤٦٦).

التخفيف قراءة من قرأ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] لأن كل واحد منهما فرار من التقاء الساكنين، فحرك ذاك أولهما، وحذف هذا آخرهما. وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كاختلاف الثمرات والجبال. المراد: العلماء به الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده، وما يجوز عليه وما لا يجوز، فعظموه وقدروه حتى قدره، وخشوه حتى خشيته، ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً، ومن كان علمه به أقل كان آمن. وفي الحديث: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية» (١٢٤٤). وعن مسروق: كفى بالمرء علماً أن يخشى، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه. وقال رجل للشعبي: أفتني أيها/ ٢/ ١١٨ العالم، فقال: العالم من خشى الله. وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه. فإن قلت: هل يختلف المعنى إذا قَدِمَ المفعول في هذا الكلام أو أخر؟ قلت: لا بد من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى: إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩] وهما معنيان مختلفان. فإن قلت: ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله؟ قلت: لما قال (ألم تر) بمعنى ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء، وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته، أتبع ذلك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُفْلِحُونَ﴾ كأنه قال: إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك: ممن عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه. وعن النبي ﷺ: «أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به» (١٢٤٥). فإن قلت: فما وجه قراءة من قرأ (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وهو عمر بن عبد العزيز ويحكي عن أبي حنيفة؟ قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة، والمعنى: إنما يجعلهم ويعظمهم، كما يجعل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ لتعليل لوجوب الخشية، لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم وإثابة أهل الطاعة والعفو عنهم، والمعاقب المشيب: حقه أن يخشى.

١٢٤٤ - قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (١٥٢/٣): غريب، وذكره الثعلبي هكذا وقال ابن حجر: لم أجده هكذا. وفي الصحيح: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية». انتهى.

١٢٤٥ - أخرجه مالك في الموطأ (٢٩١/١ - ٢٩٢)، كتاب الصيام، باب: ما جاء في الرخصة في القبلة للصائم، حديث (١٣)، والشافعي في مسنده (٢٥٦/١ - ٢٥٧)، كتاب الصوم، باب: فيما يفسد الصوم وما لا يفسده. حديث (٦٨٩). كلاهما من طريق عطاء بن يسار.

قال الحافظ: أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج عن زيد بن أسلم ومالك في الموطأ والشافعي عنه عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار به مرسلأ في أثناء حديث أوله: «أن رجلاً قبل امرأته وهو صائم». انتهى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يداومون على تلاوته وهي شأنهم وديدنهم. وعن مطرف رحمه الله: هي آية القراء. وعن الكلبي رحمه الله: يأخذون بما فيه. وقيل: يعلمون ما فيه ويعملون به. وعن السدي رحمه الله: هم أصحاب رسول الله - ﷺ - ورضي عنهم. وعن عطاء: هم المؤمنون ﴿يَرْجُونَ﴾ خبر إن، والتجارة؛ طلب الثواب بالطاعة. و﴿لِيُوفِيَهُمْ﴾ متعلق بلمن تبور، أي: تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق<sup>(١)</sup> عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده ﴿أَجُورَهُمْ﴾ وهي ما استحقوه من الثواب ﴿وَيَزِيدَهُمْ﴾ من التفضل على المستحق، وإن شئت جعلت (يرجون) في موضع الحال على: وأنفقوا راجين ليوفيهم، أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله لهذا الغرض، وخبر إن قوله: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ على معنى: غفور لهم شكور لأعمالهم. والشكر مجاز عن الإثابة.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ

بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن. ومن للتبيين أو الجنس. ومن للتبعض ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة: لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ لما تقدمه من الكتب ﴿لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يعني أنه خبيرك وأبصر أحوالك، فأراك أهلاً لأن يوحى إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَلَمَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾

(١) قوله «وتنفق» عند الله أي تروج. أفاده الصحاح. (ع)

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: إنا أرحينا إليك القرآن ثم أورثنا من بعدك أي حكمنا بتوريثه. أو قال: أورثناه وهو يريد نوره، لما عليه أخبار الله ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة؛ لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم، وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس، واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله، وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله، ثم قسمهم إلى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لأمر الله، ومقتصد: هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وسابق من السابقين. والوجه الثاني: أنه قدم إرساله في كل أمة رسولاً وأنهم كذبوا برسولهم وقد جاءهم وهم بالبينات والزبر والكتاب المنير، ثم قال: إن الذين يتلون كتاب الله، فأثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر الأمم واعترض بقوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ أي من بعد أولئك المذكورين، يريد بالمصطفين من عباده: أهل الملة الحنيفية، فإن قلت: فكيف جعلت ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ بدلاً من الفضل الكبير<sup>(١)</sup> الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه بذلك؟ قلت: لما كان السبب في نيل الثواب، نزل منزلة المسبب، كأنه هو الثواب، فأبدلت عنه جنات عدن، وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر، فليحذر المقتصد، وليملك الظالم لنفسه حذراً وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله، ولا يغترا بما/ ١١٨/٢ اب رواه عمر - رضي الله عنه - عن

(١) قال محمود: «يعني بالمصطفين أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ثم قسمتهم الآية إلى ظالم لنفسه: هو المرجأ لأمر الله، وإلى مقتصد: وهو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وإلى سابق. ثم قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جعل الجنات بدلاً من الفضل الكبير، وذلك في تنمة الآية في قوله: ﴿ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها﴾ قلت: لأن الإشارة بالفضل إلى السبق بالخيرات وهو السبب في الجنات ونيل الثواب، فأقام السبب مقام المسبب. وفي اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد، وليملك الظالم لنفسه حذراً، وعليهما بالتوبة النصوح، ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له» فإن شرط ذلك صحة التوبة فلا يعلل نفسه بالخدع» قال أحمد: وقد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله، ثم قسمتهم إلى الظالم والمقتصد والسابق ليلزم الدرَج الظالم لنفسه من الموحدِين في المصطفين، وإنه لمنهم، وأي نعمة أتم وأعظم من اصطفايته للتوحيد والعقائد السالمة من البدع، فما بال المصنف يطب في التسوية بين الموحد المصطفى والكافر المجترى، وقوله ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ الضمير فيه راجع إلى المصطفين عموماً، والجنات جزاؤهم على توحيدهم جميعاً، وإعرايها: جنات مبتدأ، ويدخلونها الخبر، وقوله: ﴿يُكْفَرُونَ فِيهَا مِنْ سُكَّارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَنُزُولًا وَّلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾... إلى آخر الآية: خير بعد خير، وخبر على خبر، والله المستعان.

رسول الله - ﷺ -: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له» (١٢٤٦). فإن شرط ذلك صحة التوبة<sup>(١)</sup> لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] وقوله ﴿إِنَّمَا يَعِدُّبِهِمْ وَإِنَّمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخدع. وقرئ سابق. ومعنى ﴿يَاذِينَ اللَّهِ﴾ بتيسيره وتوفيقه. فإن قلت: لم قدم الظالم؟ ثم الممتصد ثم السابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبيتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم والسابقون أقل من القليل. وقرئ: جنة عدن على الأفراد، كأنها جنة مختصة بالسابقين. وجنات عدن: بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر، أي يدخلون جنات عدن يدخلونها، ويدخلونها، على البناء للمفعول. ويحلون: من حلّيت: المرأة، فهي حال ﴿وَلَوْلُؤَا﴾ معطوف على محل من أساور، ومن داخله للتبعيض، أي: يحلون بعض أساور من ذهب، كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض، كما سبق المسؤرون به غيرهم: وقيل: إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ. وقرئ: ولؤلؤا بتخفيف الهمزة الأولى، وقرئ: الحزن، والمراد: حزن المتقين، وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ ذَٰلِكَ أَهْلًا مُّشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦-٢٧] ﴿فَسَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السُّورِ﴾. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: حزن الأعراض والآفات. وعنه: حزن الموت. وعن الضحاك: حزن إبليس ووسوسته. وقيل: هم المعاش. وقيل: حزن زوال النعم، وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كراء الدار، ومعناه: أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا. وعن رسول الله - ﷺ -: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم؛ وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا

١٢٤٦ - أخرجه الواحدي في تفسيره (٥٠٥/٣)، والعقيلي في الضعفاء (٤٤٣/٣)، حديث (١٤٩١)، وأعله بالفضل بن عمير، وقال: لا يتابع على إسناده، وقد روي بإسناد أصلح من هذا. انتهى. والبغوي في تفسيره (٥٧١/٣)، كلهم من طريق أبي عثمان النهدي عن عمر بن الخطاب، وعزاه الزبيلي في تخريج أحاديث الكشاف (١٥٣/٣) للثعلبي في تفسيره بنفس سند العقيلي. قال الحافظ: أخرجه البيهقي في الشعب من رواية ميمون بن سياه عن عمر - رضي الله عنه - مرفوعاً، وهذا منقطع، وأخرجه الثعلبي وابن مردويه من وجه آخر عن ميمون بن سياه عن أبي عثمان النهدي عن عمر، فيه الفضل بن عميرة: وهو ضعيف. ورواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحرازي عن عمر فذكره موقوفاً. انتهى.

(١) قوله «فإن شرط ذلك صحة التوبة» هذا عند المعتزلة. أما أهل السنة فيجوزون الغفران بمجرد الفضل. (ع)

الحزن»<sup>(١)</sup>. وذكر الشكور: دليل على أن القوم كثيرو الحسنات، المقامة: بمعنى الإقامة، يقال: أقمت إقامة ومقاماً ومقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ من عطائه وإفضاله، من قولهم: لفلان فضول على قومه وفواضل، وليس من الفضل الذي هو التفضل؛ لأن الثواب بمنزلة الأجر المستحق، والتفضل كالتبرع. وقرئ: لغوب، بالفتح: وهو اسم ما يلغب منه، أي: لا تتكلف عملاً يلغبنا: أو مصدر كالقبول والولوج، أو صفة للمصدر، كأنه<sup>(٢)</sup> لغوب لغوب، كقولك: موت مائت، فإن قلت: ما الفرق بين النصب واللغوب؟ قلت: النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له. وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب، فالنصب: نفس المشقة والكلفة. واللغوب: نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْيَىٰ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٢٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَحَآءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿فَيَمُوتُوا﴾ جواب النفي، ونصبه بإضمار أن: وقرئ: فيموتون، عطفاً على يقضي، وإدخالاً له في حكم النفي، أي: لا يقضي عليهم الموت فلا يموتون، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤَدُّنَّ لَهُمْ فَيَمْتَدُّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الجزاء (يجزي) وقرئ: يجازي. ونجزي ﴿كُلَّ كَافِرٍ﴾ بالنون<sup>(٣)</sup> ﴿يَصْطَرِحُونَ﴾ يتصارعون: يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة. قال [من الطويل]:

كَصْرَخَةِ حُبْلَىٰ أَسْلَمَتْهَا قَبِيلُهَا<sup>(٤)</sup> .....

(١) أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم والبيهقي في أول الشعب والطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر. وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف وله طريق أخرى عند الطبراني والنسائي في الكنى عن ابن عمر. وأخرى عند البيهقي في الشعب. وفي الباب عن ابن عباس أخرجه تمام في فوائده والخطيب في ترجمة محمد بن سعيد الطائفي وعن أنس عن ابن مردويه.

(٢) «كأنه» لعله: كأنه قال. (ع)

(٣) قوله «ونجزي كل كافر بالنون» ونصب كل في هذه القراءة ورفعها فيما قبلها. (ع)

(٤) قصدت إلى عنس لأحدج رحلها وقد حان من تلك الديار رحيلها

فأنت كما أن الأسير وصرخت كصرخة حبلَى أسلمتها قبيلها

للأعشى: وعنت المرأة عنساً: إذا لم تخرج من بيتها للزواج مع بلوغها من السن. والعنس: الناقة الصلبة الصعبة وحجج من باب ضرب: إذا شد الرجل على الناقة. والحدوج: الرجال واليهوداج، =

وامتعمل في الاستغانة لجهد المستغِيث صوته. فإن قلت: هلا اكتفى بـ «صالحاً» كما اكتفى به في قوله تعالى: ﴿فَأَتَّبِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ وما فائدة زيادة ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحاً آخر غير الصالح الذي عملوه؟ قلت: فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به. وأما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي، ولأنهم<sup>(١)</sup> كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْسِبَنَّ أَنَّهُمْ يُحْيُونَ مَيِّتًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فقالوا: أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نحسبه صالحاً فنعمله ﴿أَوْلَرَّ نَعْمَرَكُمُ﴾ توبيخ من الله يعني: فنقول لهم. وقرئ: ما يذكر فيه، من أذكر على الإدغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه وإن قصر؛ إلا أن التوبيخ في المتناول أعظم. وعن النبي ﷺ: «العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة» (١٢٤٧). وعن مجاهد: ما بين العشرين إلى الستين. وقيل: ثماني عشر وسبع عشر. و﴿النَّذِيرُ﴾ الرسول ﷺ. وقيل: الشيب. وقرئ: وجاءتكم النذر. فإن قلت/٢/١١٩: أ. علام عطف وجاءكم النذير؟ قلت: على معنى: أولم نعمركم؛ لأن لفظه لفظ استخبار. ومعناه معنى إخبار، كأنه قيل: قد عمرناكم وجاءكم النذير.

١٢٤٧ - ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/٥٥٩)، وعزاه إلى البزار، والزيلعي في تخريج الكشاف (٣/

١٥٥)، وعزاه إلى البزار وابن مردويه وللحديث شواهد:

أخرجه البخاري في صحيحه (١٤/١٣): كتاب الرقاق باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر وأحمد في مسنده (٢/٣٢٠)، والحاكم في المستدرک (٢/٤٢٧): كتاب التفسير، تفسير سورة الملائكة، وابن حبان في صحيحه (٧/٢٤٥): كتاب الجنائز باب في أعمار هذه الأمة، حديث (٢٩٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٧٠)، كتاب الجنائز باب من بلغ ستين سنة فقد عذر الله إليه في العمر... والبخاري في شرح السنة (٧/٢٨٢): كتاب الرقاق باب قصر الأمل: حديث (٣٩٢٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/٢٩٠).

قال الحافظ: أخرجه البزار من رواية سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا، وأصله في البخاري بلفظ: «من عمره الله ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر» وهم الحاكم فاستدرکه. ورواه ابن مردويه به من حديث سهل بن سعد. انتهى.

هو بتأخير الجيم. وأما الجدهج - بتأخير المهملة - فهو اللت والخوض والمزج، أي: عمدت إلى ناقة صلبة لأشد رحلتها عليها، والحال أنه جاء حين رحيلها من تلك الديار. والأين: الصوت المنخفض للتحزن، أي: أنت كأتين الأسير في الأول، وصرخت برفع صوتها ثانياً كصرخة حيلى عند الطلق أسلمتها وتركتها قبيلها التي تخدمها عند الولادة. والقبيل والقبول والقابلة: التي تقوم بمصلحة المرأة عند الولادة وتلقى الولد عند خروجه.

ينظر: ديوانه ص ٢٢٥، لسان العرب (قبل)، تاج العروم (قبل)، بلا نسبة في المخصص (١/ ٢٢)، (٢٥/١٤).

(١) قوله «ولأنهم كانوا يحسبون» لعله: أو لأنهم كانوا. (ع)

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلَيْكُمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣٨)

﴿إِنَّهُ عَلَيْكُمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ كالتعليل؛ لأنه إذا علم ما في الصدور وهو أخفى ما يكون، فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور: مضمراتها، وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر - رضي الله عنه -: ذو بطن خارجة جارية (١٢٤٨). وقوله [من الطويل]:

لِتُغْنِي عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعًا<sup>(١)</sup>

المعنى: ما في بطنها من الحبل، وما في إنائك من الشراب؛ لأن الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء. ألا ترى إلى قولهم: معها حبل، وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو: موضوع لمعنى الصحبة.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يُزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا حَسَارًا﴾ (٣٩)

يقال للمستخلف: خليفة وخليف؛ فالخليفة تجمع خلائف، والخليف: خلفاء،

١٢٤٨ - تقدم في سورة الإسراء. قال الحافظ: أخرجه في الموطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة: أن أبا بكر كان نحلي جداد عشرين وسقا - الحديث وفيه: «إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ قال: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية، فولدت جارية» وقد تقدم طرف منه في الإسراء. انتهى.

(١) وناولته من رسل كوماه جلدة وأغضبت عنه الطرف حتى تضلعا  
إذا قال: قدني قلت بالله حلفة لتغني عني ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعًا

لحريث بن عتاب الطائي. وَالرُّسُلُ - بالكسر -: اللبن القليل. والكوماه: السمينة. والجلدة: الصلبة. والإغضاء الغض والإغماض. والتضلع: امتلاء البطن حتى يرتفع الجنبان والصلوع. وغض طرفه عن الضيف كي لا يستحي إذا قال الضيف: قدني، أي حسبي من الشرب قلت: بالله. وروي: قال بالله، فكانه عبر عن نفسه بطريق الغيبة. وروى: إذا قلت قدني قال، على أن الشاعر الضيف وليس بذاك. وحلقة: نصب بمعنى القسم قبله، أي: أحلف بالله حلقة، ولتغني: جواب القسم وفتح آخره لاتصاله تقديراً بنون التوكيد الخفيفة، أي: لتغني عني. وروي ثعلب لتغتن بنون التوكيد الثقيلة، أي: لتبعدن عني، وكان حقه على اللغة المشهورة لتغنين، لكن حذف ياؤه بعد الكسرة على لغة فزارة. وروي لتغني بكسر اللام للتعليل، أي: اشرب لتغني عني صاحب إنائك وهو اللبن، وأضافه للإناء لأنه فيه، وأضاف الإناء لضمير الضيف لأنه في يده، وتبرأ من نسبه إلى نفسه دلالة على الكرم، وأجمع: توكيد للبن، أي لا ترد إلى ما في الإناء، بل أشربه كله.

ينظر: خزانة الأدب ٤٣٤/١١، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٣، والدرر ٤/٢١٧، ومجالس ثعلب ص ٦٠٦، والمقاصد التحوية ٣٥٤/١، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ١٠٧، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٥٥٩، وشرح شواهد المغني ٥٥٩/٢، ٨٣٠، وشرح المفصل ٨/٣، ومغني اللبيب ٢١٠/١، والمقرب ٧٧/٢، وهمع الهوامع ٤١/٢.

والمعنى: أنه جعلكم خلفاءه في أرضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها، وأباح لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾ منكم وغمط مثل هذه النعمة<sup>(١)</sup> السنية، فوبال كفره راجع عليه. وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بقي بعده خسار، والمقت: أشدّ البغض. ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه: مقتي، لكونه ممقوتاً في كل قلب، وهو خطاب للناس. وقيل: خطاب لمن بعث إليهم رسول الله - ﷺ - جعلكم أمة خلفت من قبلها. ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به، فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة، كما أن ذلك حكم من قبلكم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿أَرُونِي﴾ بدل من أرايتم؛ لأنّ المعنى: أرايتم أخبروني، كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء و عما استحقوا به الإلهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة في خلق السموات، أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب. أو يكون الضمير في ﴿آتَيْنَهُمْ﴾ للمشركين، كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ أم آتيناهم كتاباً من قبله، بل إن يعِد بعضهم وهم الرؤساء ﴿بَعْضًا﴾ وهم الأتباع ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ وهو قولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ وقرئ: بينات.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾

﴿أَنْ تَزُولَا﴾ كراهة أن تزولا. أو يمنعهما من أن تزولا: لأن الإمساك منع ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ غير معاجل بالعقوبة، حيث يمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تهذا هذا، لعظم كلمة الشرك كما قال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَلْسَأُ الْأَرْضُ﴾ [مريم: ٩٠]. وقرئ: ولو زالنا، وإن أمسكهما: جواب القسم في ﴿وَلَئِن زَالَتَا﴾ سدّ مسدّ الجوابين، ومن الأولى مزيدة لتأكيد النفي، والثانية للابتداء. من بعده: من بعد إمساكه. وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال لرجل مقبل من الشام: من لقيت به؟ قال: كعباً. قال: وما

(١) قوله «وغمط مثل هذه النعمة» أي: واحقر. (ع)

سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: إن السموات على منكب ملك. قال: كذب كعب. أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية (١٢٤٩).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٧﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن نَحْدِلْ إِلَّا سُنَّتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن نَّجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٨﴾ أُولَئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُم مِّن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

بلغ قريشاً قبل مبعث رسول الله - ﷺ - أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى أنتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدي من إحدى الأمم، فلما بعث رسول الله - ﷺ - كذبوه. وفي ﴿إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ وجهان، أحدهما: من بعض الأمم، ومن واحدة من الأمم من اليهود والنصارى وغيرهم. والثاني: من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم، تفضيلاً لها على غيرها في الهدى والاستقامة ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ إسناد مجازي، لأنه هو السبب في أن زادوا أنفسهم. نفوراً عن الحق وابتعاداً عنه كقوله تعالى: ﴿فزادهم رجساً إلى رجسهم﴾. ﴿اسْتِكْبَارًا﴾ بدل من نفوراً. أو مفعول له، على معنى: فما زادهم إلا أن نفروا استكباراً وعلواً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أو حال بمعنى: مستكبرين وماكرين برسول الله - ﷺ - والمؤمنين. ويجوز أن يكون ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ معطوفاً على نفوراً فإن قلت: فما وجه قوله: (ومكر السيء)؟ قلت: أصله: وإن مكروا السيء، أي المكر السيء، ثم ومكروا السيء، ثم ومكر السيء. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ومعنى يحيق: يحيط وينزل. وقرئ: ولا يحيق المكر السيء، أي: لا يحيق الله، ولقد حاق بهم يوم بدر. وعن النبي ﷺ «لا تمكروا ولا تعينوا ماکراً» (١٢٥٠). فإن الله تعالى يقول ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ولا تبغوا/٢/١١٩ ب ولا تعينوا باغياً،

١٢٤٩ - أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٢١/١٠) حديث (٢٩٠٣٩)، عن ابن مسعود ولم يذكر قوله: «لما ترك يهوديته بعد، كذلك ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٧٩/٥)، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن شقيق عن ابن مسعود بنحوه. قال الحافظ: لم أجده. وروى الطبري من رواية أبي وائل قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - فقال: من أين جئت؟ قال: من الشام فذكره مثله، إلا أنه لم يقل ما ترك يهوديته. انتهى.

١٢٥٠ - تقدم في سورة يونس.

قال الحافظ: أخرجه ابن المبارك في الزهد وقد تقدم في أول يونس. انتهى.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بِغَيْبِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]. وعن كعب أنه قال لابن عباس - رضي الله عنهما - : قرأت في التوراة: من حفر مغواة<sup>(١)</sup> وقع فيها. قال: أنا وجدت ذلك في كتاب الله، وقرأ الآية. وفي أمثال العرب: من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً. وقرأ حمزة: ومكر السيء، بإسكان الهمزة، وذلك لاستثقاله الحركات مع الياء والهمزة، ولعله اختلس فظن سكونا أو وقف وقفه خفيفة، ثم ابتدأ ﴿وَلَا يَجِئُ﴾ وقرأ ابن مسعود: ومكراً سيئاً ﴿سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ﴾ إنزال العذاب على الذين كذبوا برسولهم من الأمم قبلهم، وجعل استقبالهم لذلك انتظاراً له منهم، وبين أن عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها، أي: لا يغيرها، وأن ذلك مفعول له لا محالة، واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسائرهم ومتاجرهم في رحلهم إلى الشام والعراق واليمن: من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ﴿لِيُعْجِزُوا﴾ ليسبقه ويفوته.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنَ الذَّنْبِ وَلَا لَكِن يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾

﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ بما اقترفوا من معاصيهم ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا﴾ على ظهر الأرض ﴿وَلَكِن ذُنُوبَهُمْ﴾ من نسمة تدب عليها، يريد بني آدم. وقيل: ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم. وعن ابن مسعود: كاد يجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم (١٢٥١)، ثم تلا هذه الآية. وعن أنس: إن الضب ليموت هزلاً في جحره بذنب ابن آدم (١٢٥٢). وقيل: يحبس المطر فيهلك كل شيء ﴿إِنَّ أَجَلَ مُّسَمًّى﴾ إلى يوم القيامة ﴿كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ وعيد بالجزاء.

عن رسول الله - ﷺ -: «من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة: أن أدخل من أي باب شئت» (١٢٥٣).

١٢٥١ - تقدم في سورة النحل.

وقال ابن حجر: أخرجه الحاكم وقد تقدم في النحل. انتهى.

١٢٥٢ - قال الحافظ ابن حجر: لم أجده عن أنس.

وقد تقدم في سورة النحل عن أبي هريرة وعزاه إليه المصنف فيه على الصواب. انتهى.

١٢٥٣ - تقدم برقم (٣٤٦).

وقال الحافظ: أخرجه الثعلبي وابن مردويه، والواحدي من حديث أبي بن كعب - رضي الله عنه - .

(١) قوله «من حفر مغواة وقع فيها» في الصحاح: وقع النامس في أغوية، أي: في داهية. والمغويات - بفتح الواو مشددة -: جمع المغواة، وهي حفرة كالزبية، يقال: من حفر مغواة وقع فيها، والزبية: حفرة تحفر للأسد اهـ. أي: لصيد الأسد. (ع)